﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ترغيبُ العصاة في التّوبة والإنابة إلى الله

لمّا أشعرتِ الفاء بالتّسبيب، ودلّ تأكيدُ الفعل بالمصدر على الاحتياج إلى عملٍ كثير ربّما جلَّ عن طوقِ البشر، أتبع ذلك بيانَ الطّريق إليه بما أجرى منَ العادة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَتَابًا﴾: (توب) أصلٌ يدلّ على الرّجوع، يقال: تاب إلى الله يتوب توبًا وتوبة ومتابًا، أي: أناب ورجع عن المعصية إلى الطّاعة[2]، والمَتاب: مصدرٌ ميميّ على وزن مَفْعَل، بمعنى التّوبة، والمعنى المحوريّ للّفظة: توقّفُ الشّخص وانقطاعُه عمّا كان يعمله منَ الذنوب ونحوها لرقّةٍ اعترته، فالتّوبة تركُ التّمادي في المعاصي[3].

❁ المَعْنَى الإِجْماليُّ:

قَبولُ اللهِ الكريمِ توبةَ التّائبين الصّادقين

يخبرُ ربّنا سبحانه أنّه من تاب عمّا ارتَكَبَ من الذّنوب، وعمل عملًا صالحًا فإنّه بذلك يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا، فيقبلُ اللهُ توبته ويُكَفِّرُ ذنوبه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

توجيهُ العطف بالواو في الآية:

الحثُّ على التّوبة وتحصيلِ شروطها

عُطف قولُه تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ على ما قبله بحرف الواو للدّلالة على ارتباطه به، فبعد أن أخبر سبحانه أنّ اللهَ يقبل توبة التّائبين عنِ المعاصي بيّن في هذه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 430.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (توب).
(3) جبل، المعجم الإشتقاقي المؤصل: (توب).
(4) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 366.

الآية شروطَ التّوبة من وجوب الإقلاع عن المعاصي والنّدمِ عليها والشّروعِ في الأعمال الصّالحة والرّجوعِ إلى اللّه بصدق.

سرُّ تَكرار فعلَي التّوبةِ والعمل الصّالح:

تـأكـيـدُ فـضـلِ الـتّـوبـة ووعْـدِ التّائبين بالفضل المبين

اختلف العلماء في الحكمة من تكرّر فعلَي التّوبة والعمل الصالح في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ بعد أن قال في الآية قبْله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فقال بعضهم إنّ التّوبة الأولى رجوعٌ عن الشّرك والمعاصي، والتّوبةَ الثّانية رجوعٌ إلى اللّه تعالى للجزاء والمكافأة، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: 30]، أي: مرجعي، أو أنّ الآية الثّانية تأكيدٌ لأمر التّوبة، والمعنى: (وَمَنْ تابَ فإنه قد تمسّك بأمر وثيق)، والمقصودُ مدحُ المتاب، كأنّه قال: (فإنّه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيمًا)[1].

ويجوز أن لا يكون هذا تكريرًا أصلًا؛ لأنّ الأوّل لمّا كان خاصّا بالتّوبة من الكبائر المذكورةِ من الشّرك والقتل والزّنا بيّن تعالى هنا أنّ جميع الذّنوب بمنزلتها في صحّة التّوبة منها[2].

نكتةُ حذفِ المفعول (عملا):

تـيـسـيرُ تـوبـة الـتّـائـبـين وتخفيفُها على العاصين

حُذف المفعولُ (عملا) في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ بعد أن كان مذكورا في الآية قبله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ لنكتة التّخفيف على التّائبين وتيسيرِ أمر التّوبة عليهم، فإنّه لـمّا كان في سياق التّرغيب، أغناه عن التّأكيد، ليدلّ على قَبول توبة التّائب ولو كان عمله ضعيفًا[3].

معنى الفاء في الآية:

ربطُ الإخلاصِ في التّوبة بالتّوفيق للاستمرارِ فيها

أفادتِ الفاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 222.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 485.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 431.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ ربْطَ فعل الشّرط ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بجزائه ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾، فأخبر سبحانه أن من أتى بهذه التّوبة على سبيل الإخلاص فقد وعده بأنّه سيوفّقه للاستمرار في التّوبة، وهذا من أعظم البِشارات[1].

بلاغةُ التّوكيد بإنّ:

تأكيدُ قَبول توبةِ التّائبين

استُعمل حرفُ التّوكيد (إنّ) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ لتحقيق مضمونِ الخبر من أنّ من تاب إلى الله فقد أتى بتوبة مرضيّةٍ لله مكفّرةٍ للذّنوب محصّلةٍ للثّواب العظيم.

سرُّ تكرار فعلِ التوبة مضارعًا:

تحريضُ التّائبين على الاستمرار في الطّريق القويمِ

أعيد فعلُ التوبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ بصيغة المضارع لِما تفيده هذه الصيّغةُ من معنى التّجدّد والدّوام، أي: فإنّه يستمرّ على توبته ولا يرتدُّ على عقبَيه فيكون وعدًا من الله تعالى أن يثبّته على القول الثّابت إذا كان قد تاب وأيّد توبتَه بالعمل الصالح[2].

بلاغةُ تقديم الجارّ والمجرور ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾:

اختصاصُ أصحابِ الشّرك والكبائر بمضاعفةِ العذاب والخلودِ فيه

تقدّم شبهُ الجملة ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لنكتة الاختصاص، بمعنى إخلاصِ نيّة التّوبة لله وحده، ومن وُفّق في ذلك فقد أتى بتوبة مرضيّة لله مكفّرةٍ للذّنوب محصّلةٍ للثّواب العظيم، وأنّ التّائب سيرجعُ إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة[3].

سرُّ إظهارِ الاسم الأعظم في النّظم:

فرحُ الله الكريم بتوبة التّائبين الصّادقين

أُظهر اسمُ الله الأعظمُ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ لإناطة التّوبة بصريح اسمه الجامعِ وليُؤذن به أنّ من تكون توبتُه إلى من اسمُه الله فأعظم بتوبته، فاسمُ الله الأعظم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 485.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 78.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 485.

جامعٌ لسائر صفاته الحسنى وأسمائه العظمى، وله في كل مقام تجلٍّ بحسب اقتضاء ذلك المقام، والمقابل له، وهذا المقام مقامُ التّوبة، فالتّجلّي بوصف التّوّابية، فالله يحبُّ التّوابين ويحبُّ المتطهّرين، ويفرحُ بتوبة التّائبين فرحًا لا فرحَ فوقه[1].

وجهُ التّعبير بـ ﴿مَتَابًا﴾ دلالةً وصيغةً:

أثـرُ الصّيغـةِ الصّرفية في تنوّع المعاني الدّلاليةِ

ورد لفظُ ﴿مَتَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾، على أنّه مفعولٌ مطلقٌ غرضُه التّأكيدُ، أي: من تاب وعمل صالحًا، فإنّ توبته هي التّوبةُ الكاملة الخالصةُ لله على حدّ قول النّبيّ ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2] وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التّحريم: 8][3]، أو أنّه مصدر ميميّ اسم مكان، أي: أنّه يعود إلى مكان التّوبة وملجئها الحصين الذي لا يذلّ من يلجأ إليه، ويجعلُه حصنَه الحصين، وركنَه الركين[4].

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 296.

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (94)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (1907).

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 78.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5320.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»